# حلقات السياق السردي في مقامات الهمـذاني

أ. بوحوش مرجانة
جامعة العربي بن مهيدي - أم البواقي

**مقدمة الدراسة:**

إن العودة الواعية إلى التراث العربي، وإعادة بعثه وكشف أسراره برزت بصورة جلية في النصف الأخير من القرن العشرين. إلا أن الدراسات الناجزة في هذا المجال ركزت على ثلاثة أصول معرفية[1] هي الأنظمة المعرفية للعقل العربي كما هو الحال في دراسات محمد عابد الجابري (نقد العقل العربي، بنية العقل العربي، العقل السياسي العربي). ومظاهر الثبات والتحول في الثقافة العربية مثل كتاب (الثابت والمتحول لأدو نيس) ومظاهر التعبير اللساني والبلاغي شأن كتاب (التفكير اللساني في الحضارة العربية لعبد السلام المسدي). بالمقابل لم يتم الاهتمام بمظهر آخر هو السرد العربي القديم. هذا المظهر الذي شكل "إلى جانب النتاج المعرفي والشعري الهيكل الكلي للثقافة العربية بتحلياتها الفكرية والإبداعية"[2]

---

[1]- ينظر، عبد الله إبراهيم، السردية العربية (بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي)، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 1992، ص 06.

[2]- المرجع نفسه، ص 06.

وإذا كان السرد فعلا لا حدود له وأنه "حاضر في الأسطورة، وفي الحكاية الخرافية وفي الأقصوصة، والملحمة والتاريخ، والمأساة والملهاة، واللوحة المرسومة وفي النقش على الزجاج...وحاضر في كل الأزمنة، وفي كل الأمكنة، وفي كل المجتمعات..."[1] فإن السرد العربي القديم هو من التعدد والتنوع بحيث لا يمكن حصره أو جمعه...لأنه موزع في كتب الأدب والتاريخ والفقه والتفسير والسير والتراجم. فكما يوجد في أصول الأدب التي ذكرها ابن خلدون، يوجد في مدونة الأغاني للأصفهاني (ت 356هـ) ونشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، والفرج بعد الشدة للتنوخي (ت 384هـ) وكتاب الديارات للشبشتي (ت 388هـ)، وزهر الآداب وثمر الألباب للحصري (ت 412هـ) ومروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي (ت 346هـ). إلى جانب المدونات السردية المشهورة: (كليلة ودمنة) لابن المقفع، ورسالة (التوابع والزوابع) لابن شهيد، (رسالة الغفران) للمعري، و(ألف ليلة وليلة) أشهر مدونة سردية، وذخيرة المغرب العربي (مائة ليلة وليلة) التي حققها محمد طرشونة وأدب المقامات. وهي الحقيقة التي أكدها عبد الصمد الرقاشي: "ما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون، فلم يحفظ من المنثور عشره ولا ضاع من الموزون عشره"[2]

---

[1]- رولان بارت، التحليل البنيوي للسرد، ترجمة حسن بحراوي، بشير القمري، عبد الحميد غفار ضمن كتاب طرائق تحليل السرد الأدبي، منشورات اتحاد كتاب المغرب، الرباط، الطبعة الأولى، 1982، ص 09.

[2]- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر)، البيان والتبيين، تحقيق وشرح، عبد السلام هارون، مكتبة الجاحظ، الطبعة الأولى، ج 1، ص 287.

ولعل أكثر هذه السرود تميزا واكتمالا على مستوى البنية السردية، المقامة العربية التي امتد إنتاجها عشرة قرون كاملة بدءا من الأستاذ الأول بديع الزمان الهمذاني (ت 368هـ) وانتهاء بحافظ إبراهيم (ت 1932م) . فقد أورد "فيكتور الكك" لائحة لأصحاب المقامات في اللغة العربية تضمنت ثلاثة وستين مؤلفا.."[1] كما أن قيمة هذا المنتوج السردي تتجلى في أن "العمل فيه باللغة كان منقطع النظير في أي أدب سردي، عبر الآداب العالمية إطلاقا"[2].

فالمقامة فضاء سردي يستميز بعوالمه وشخصياته ولغته، فقد عرفها القلقشندى قديما بقوله: "سميت الأحدوثة من الكلام مقامة لأنها تذكر في مجلس واحد يجتمع فيه جماعة من الناس لسماعها"[3]

والسؤال الذي يطرح اليوم هل النص المقامي ما يزال بحاجة إلى القراءة والتحليل؟ والجواب: نعم، خاصة وأن القراءات التاريخية المرتبطة بهذا النص العجيب نهجت — في معظمها – نهج القراءة المؤولة فلم تخرج عن التأريخ لها والترجمة لأعلامها والشرح لمتونها. ومن ثم فإن القراءة التي نتوخاها هي قراءة تتناول هيكل البنية بكشف أسرار اللعبة الفنية فيه. تحليل نتعامل فيه مع "التقنيات المستخدمة في إقامة النص"[4]

---

[1]- ينظر فيكتور الكك، بديعات الزمان (بحث تاريخي تحليلي في مقامات الهمذاني)، المطبعة الكاثوليكية بيروت، 1961، ص 129 .

[2]- عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية (بحث في تقنية السرد )، عالم المعرفة، (240) المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998، ص 169 .

[3]- القلقشندي، (أحمد بن علي )، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق محمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، 1987، ج 14، ص 124.

[4]- يمنى العيد، تقنيات السرد الروائي في المنهج البنيوي، دار الفارابي، سنة 1990، ص 11.

مستندين في ذلك إلى نتائج النقد البنائي المعاصر في بحوثه المرتبطة ببنية الحكي/خاصة عند (رولان بارت، تودوروف، غريماس).

وهي دراسة محفوفة بالمخاطر لأن الباحث يتحرك فوق أرضيتين مختلفتين، أرضية النصوص العربية القديمة وما يحيط بها من أنساق اجتماعية وسياسية ودينية، وأرضية المناهج الغربية وما هي مبطنة به من مرجعيات فكرية وفلسفية. ولهذا لا بد من توطين الذات القارئة والابتعاد عن قراءتين سلبيتين وأعني بهما

1-"القراءة التراثية للتراث، حيث التعامل مع التراث بوصفه إنجازا مقدسا لا يجب المساس به إلا بالتوقير والتعظيم والإجلال"[1]

2- القراءة الاستشراقوية وهي قراءة لا تخرج عن المركزية الغربية حيث التبعية الفكرية والكسل المعرفي والتعيش من إبداع الآخرين.

**فلا بد من إحداث قطيعة ابستيمولوجية مع القراءتين ورؤية الأشياء كما هي دون تهويل أو استخفاف.**

**متن الدراسة:**

إن الأفعال الحكائية في (مقامات) "بديع الزمان الهمذاني" تتوالى وفق منطق خاص بها، وترابط فيما بينها بعلاقات وظيفية، تشكل هذه العلاقات قواعد مشتركة بين مجموع الحكايات في (مقامات) "الهمذاني"، جاء هذا الترابط في شكل نمطين مختلفين النمط الأول يمثل الأصل والنمط الثاني يمثل الاستثناء.

---

[1]- نصر حامد أبو زيد، الخطاب والتأويل، المركز الثقافي العربي، المغرب، الطبعة الثانية، 2005، ص 180.

**النمط الاول:**

ويبرز في معظم (مقامات) "الهمذاني"، يتشكل هذا النمط من ثلاث حلقات سردية هي: الخروج، التخفي، التجلي. يظهر هذا النمط بالضبط في ثمان وثلاثين مقامة (38 مقامة)

**1-الخروج:**

تبدأ حكايات المقامة عند "الهمذاني" عادة بالإخبار عن الخروج؛ خروج "عيسى بن هشام" نحو غاية معلومة. لهذا نجد: "السفر حاضراً بكل أشكاله في مقامات الهمذاني، طوال صفحات تنشر خرائط وتبسط رقاق، وتتكشف مجموعة من النشاطات"[1]. فمدونة الهمذاني غنية بأسماء المكان، إذ نسجل إحدى وعشرين مقامة من مجموع اثنتين وخمسين مقامة تحمل اسم مدينة أو منطقة.

إن التنقل في (المقامات) ليس له نهاية، فما إن تصل الشخصيتان الرئيسيتان (الراوي) "عيسى بن هشام" و(البطل) "أبو الفتح الاسكندري" إلى مكان ما، لا يكون وصولهما إلا بداية لحركة أخرى في فضاء مفتوح: "كنت بأصفهان أعتزم المسير إلى الرّيّ فحللتها حلول الفيّ "[2].

ولهذا فالثبات والاستقرار مشروع مشكوك فيه في (مقامات) "الهمذاني"، ويكاد يكون الخروج في هذه (المقامات) من أجل البحث عن الاستثمار والاستقرار: "طرحتني النوى مطارحها حتى إذا وطئت جرجان الأقصى. فاستظهرت على الأيام بضياع أجلت فيها يد العمارة. وأموال وقفتها على التجارة. وحانوت جعلته مثابة، أو رفقة

---

[1]- عبد الفتاح كليطو، المقامات، السرد والأنساق الثقافية، ترجمة عبد الكبير الشرقاوي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1993، ص 11.

[2]- الهمذاني، مقامات الهمذاني، المقامة الأصفهانية، ص 79 .

اتخذها صحابة"[1]. وفي المقامة البلخية يقول: "نهضت بي إلى بلخ تجارة البز فوردها وأنا بعذرة الشباب وبال الفراغ وحيلة الثروة لا يهمني إلا مهرة فكر استقيدها..."[2].

والاستثمار لا يكون ماديا فحسب، بل أحيانا يكون الخروج بحثا عن الاستثمار الذهني: "طفت الآفاق، حتى بلغت العراق وتصفحت دواوين الشعراء. حتى ظننتني لم أبق في القوس مترع ظفر..."[3].

ويقول في المقامة العلمية: "كنت في بعض مطارح الغربة مجتازا فإذا أنا برجل يقول لآخر: بِمَ أدركت العلم..."[4]، بل نجده يصرح بالجلسات العلمية التي كان ينهل منها العلم والأدب معا: "كنت ببلاد الشام وانظم إلي رفقة، فاجتمعنا ذات يوم في حلقة. فجعلنا نذكر الشعر فنورد أبيات معانيه، ونتحاجى بمعانيه"[5].

وفي المقامة المطلبية يقول: "اجتمعت يوما بجماعة كأنهم زهر الربيع. أو نجوم الليل بعد هزيع. بوجوه مضيئة، وأخلاق رضية. قد تناسبوا في الزي والحال. وتشاكلوا في حسن الأحوال. فأخذنا نتجاذب أذيال المذاكرة، ونفتح أبواب المحاضرة"[6].

---

[1]- المصدر نفسه، المقامة القريضية، ص 05.

[2]- المصدر نفسه، المقامة البلخية، ص 19.

[3]- المصدر نفسه، المقامة العراقية ص 215.

[4]- المصدر السابق، المقامة العلمية، ص 307.

[5]- المصدر نفسه، المقامة الشعرية، ص 339 .

[6]- المصدر نفسه، المقامة المطلبية، ص 375.

وإذا كان أفق السعي غير منته، والوصول لا يكون إلا بداية رحلة جديدة: "وشرقت وغرب"[1]، "فراح مشرقا ورحت مغربا"[2]. فأين موقع نشوء السعي؟.

إن "عيسى بن هشام" لا يشير إلى موطن النشوء إلا في المقامة الحلوانية "من أي بلد أنت؟ فقلت من قم"[3].

أما البطل "أبو الفتح الإسكندري" فالإسكندرية هي موطنه كما هو واضح للعيان. لكن أين تقع هذه المدينة؟.

فالمدن التي أنشأها الإسكندر المقدوني والتي تحمل اسمه كثيرة كما ذكر ذلك "ياقوت الحموي" في معجمه: "قال أهل السير: بنى الإسكندر ثلاث عشرة مدينة وسماها كلها باسمه، ثم تغيرت أساميها بعده، وصار لكل واحدة منها اسم جديد"[4]. لهذا يمكن القول: "إن منشأ أبي الفتح هو أي مكان ولا مكان"[5].

بعد هذا الاستقراء تأكد لنا أن الخروج يشكل قاعدة مشتركة بين جميع النصوص الحكائية في (مقامات) "الهمذاني"، بل إن الخروج يكاد يكون قاعدة مشتركة بين جميع النصوص الحكائية البسيطة منها والمعقدة كالخرافة والمقامة والقصة القصيرة والرواية الحديثة بكل ألوانها: "تبدأ الحكايات عامة بالإخبار عن خروج شخصية من

---

[1]- المصدر نفسه، المقامة الشيرازية، ص 255

[2]- المصدر نفسه، المقامة الأسدية، ص 21.

[3]- المصدر نفسه، المقامة الحلوانية، ص 262.

[4]- ياقوت الحموي، معجم البلدان، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، ج1، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1990، ص 217.

[5]- عبد الفتاح كليطو، المقامات، السرد والأنساق الثقافية، ص 12.

شخصياتها، هي عادة الشخصية الرئيسة (البطل أو البطلة). ويكون الخروج خروجا من البيت، أو خروجا على الطاعة، أو تحركا نحو غاية"[1].

**2- التخفي:**

يواجه "عيسى بن هشام" في معظم (المقامات) "ممثلا" يختار التخفي الصفيق الذي لا يمكن اختراقه، يأتي هذا التخفي في أشكال كثيرة منها:

● التخفي بواسطة الأقنعة التي كان يرتديها:

- "أخذت عيناي رجلا قد لف رأسه ببرقع حياء. ونصب جسده. وبسط يده. واحتضن عياله. وتأبط أطفاله..."[2].

- "ودخل علي شاب في زيّ ملء العين. ولحية تشوك الأخدعين وطرف قد شرب ماء الرافدين... "[3].

● التخفي عن طريق انتحال شخصيات متميزة في المجتمع:

فهو - أحيانا - واعظ، وأخرى إمام، أو ماجن، أو قرّاد، أو مكد، أو ناقد، أو صانع معجزات: "بينما أنا في البصرة أميس حتى أدّاني السير إلى فرضة قد كثر فيها قوم على قائم يعظهم وهو يقول... "[4].

- "حتى وقفت بمسمع صوت رجل دون مرأى وجهه لشدة الهجمة. وفراط الزحمة. فإذا هو قرّاد يرقّص قرده"[5].

---

[1]- يمنى العيد، تقنيات السرد الروائي، ص 31.

[2]- الهمذاني، المقامات، المقامة الأزدية، ص 13.

[3]- المصدر نفسه، المقامة البلخية، ص 19.

[4]- المصدر نفسه، المقامة الوعظية، ص 199.

[5]- المصدر نفسه، المقامة القردية، ص 147.

- "وقمنا وراء الإمام. قيام البررة الكرام. بوقار وسكينة... وإمامنا يجد في خفضه ورفعه. ويدعونا بإطالته إلى صفعه"[1].

- "وقلنا: من الطالع بمشرقه. الفاتن بمنطقه. فقال لا يعرف العود كالعاجم. وأنا المعروف بالناجم"[2].

- "وقد وقف علينا فتى يسمع وكأنه يفهم. ويسكت وكأنه يندم، فقلت يا فتى قد آذانا وقوفك فإما أن تقعد. وإما أن تبعد"[3].

بل إن التخفي يزداد حتى عندما يريد "أبو الفتح الإسكندري" التعريف بنفسه: "وهو يقول: من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي أنا باكورة اليمن، وأحدوثة الزمن، أنا أدعية الرجال وأحجية ربات الحجال، سلوا عني البلاد وحصونها، والجبال وَحُزُونَها والأودية وبطونها..."[4].

بل نجده يراوغ الراوي "عيسى بن هشام" عندما يسأله عن اسمه، فيقول: "فمن أنت؟ قال: نصيح إن شاورت، فصيح إن جاورت ودون اسمي لثام، لا تميطه الأعلام..."[5].

كل هذا التخفي الصفيق جعل "عيسى بن هشام" يقع ضحية تخفي البطل "أبو الفتح الإسكندري" كما جاء في المقامات.

---

[1]- المصدر نفسه، المقامة الخمرية، ص 365.

[2]- المصدر نفسه، المقامة الناجمية، ص 289.

[3]- المصدر نفسه، المقامة الشعرية، ص 339.

[4]- المصدر نفسه، المقامة السجستانية، ص 25.

[5]- المصدر نفسه، المقامة الفزارية، ص 105، 106.

"فرق له والله قلبي واغرورقت له عيني فنلته دينارا كان معي"[1].

"فاستفزني رائع ألفاظه، وسروت جلباب النوم وعدلت إلى القوم"[2].

إلا أن هذا التخفي والاندهاش الذي يصاحب تعرف (الراوي) "عيسى بن هشام" على (البطل) "أبو الفتح الإسكندري" لا ينطلي على المتلقي لهذه المقامات بعد تلقيه لمقامتين أو ثلاث، يتفطن للحيلة ويتوقع عودة القصة ذاتها، لأن خيوط اللعبة السردية واحدة في معظم المقامات، "فالقارئ أو المتلقي متقدم هنا على الراوي"[3].

**3- التجلي: "التعرف"**

قديما حدّد "ابن الأثير" المدار العام للمقامة العربية بقوله: "إن المقامات مدارها جميعا إلى حكاية تخرج إلى مخلص"[4].

هذه الإشارة تكشف لنا ثبات البنية السردية للمقامة العربية، وأن المؤلف أسير لهذه البنية.

فالمقامات الهمذانية – في معظمها – تنتهي إلى التجلي أو التعرف الحاصل بين (الراوي) "عيسى ابن هشام" (البطل) و"أبو الفتح الإسكندري" لكن هذا التعرف جاء في صيغ متعددة.

- صيغ التعرف بين الراوي والبطل في المقامات الهمذانية:

يأتي التعرف بالصيغ الآتية عندما يواجه (الراوي) (البطل).

---

[1]- المصدر نفسه، المقامة المكفوفية، ص 122.

[2]- المصدر نفسه، المقامة القزوينية، ص 134، 135.

[3]- عبد الفتاح كليطو، المقامات، السرد والأنساق الثقافية، ص23.

[4]- ابن الأثير: "أبو الفتح ضياء الدين نصر الله"، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج1 تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة الحلبي، القاهرة، 1939، ص8.

1- "فأماط لثامه، فإذا والله شيخنا أبو الفتح الإسكندري" وهي أكثر الصيغ انتشارا. إذ وردت في إحدى عشرة مقامة هي:

الأزدية، السجستانية، الكوفية، الأذربيجانية، الجرجانية، الأصفهانية، الفزارية، المكفوفية البخارية، القزوينية، القردية.

2- الإشارة إلى مدينة المنشأ: "أنا من بلاد الإسكندرية" وجاء ذلك في المقامة: الحرزية الحمدانية، الحلوانية.

3- يعرف نفسه شعرا، كما هو الحال في المقامة الجاحظية، المارستانية، المجاعية، العلمية، يقول في المقامة الأخيرة:

إسكندرية داري * لو قر فيها قراري[1]

4- التعرف بصيغ متعددة:

"ألست بأبي الفتح الإسكندري": المقامة البلخية.

"فقلت الإسكندري والله": المقامة القريضية.

"ألست الإسكندري": المقامة السارية.

"فقلت أنت أبو الفتح الإسكندري": المقامة الشيرازية.

"إذ بأبي الفتح الإسكندري": المقامة الإبليسية.

"فإذا هو إسكندرنيا": المقامة الخمرية.

"أنا أبو الفتح الإسكندري": المقامة الوعظية، والنيسابورية.

"فما أخذت عينا إلا أبا الفتح في جملتهم": المقامة الأسودية.

"فقلت إن هذا الرجل هو الإسكندري الذي سمعت به": المقامة الأسدية.

"فإذا زعيمهم أبو الفتح الإسكندري": المقامة الساسانية.

---

[1]- الهمذاني، المقامات، المقامة العلمية، ص 308.

5- التعرف دون ذكر الاسم: المقامة المطلبية.

يعلق "عبد الله إبراهيم" على صيغ التعرف هذه بقوله: "إن الإيماء بالدهشة والعجب، وعدم التوقع، أمر شبه ملازم لصيغ التعبير عن موقف التعرف، وهو ما يدل على أن (الراوي) يفاجأ باللقاء غير المتوقع بينه وبين (البطل) الذي كان قد تعرف إليه في موقف سابق بهيئات مختلفة، وعلى نقيض المفاجأة التي تدهش (الرواي) "عيسى بن هشام"، فإن (المتلقي) يعرف أن الموقف سيفضي إلى التعرف حتما وهكذا، في الوقت الذي تتوفر لدى المتلقي إمكانية حدس تطور الأحداث قبل حصولها في المقامة، بما فيها موقف التعرف، فإن الراوي يبدو في كل مقامة جاهلا بما ينتظره، وهو ما يفضي في بعض الأحيان، لأن يكون ضحية خداع وتضليل البطل، فيعمل موقف التعرف على إزالة الضرر الذي لحق بالراوي عندما يعرف أن المخادع، صاحب قديم معروف جيدا لديه"[1].

طرائق تكوين التعرف وأثر ذلك في بنية الحكاية:

1. **الطريقة الأولى:** ويحصل التعرف فيها أولا؛ أي قبل تشكيل الحكاية التي يقوم بها أبو الفتح الإسكندري، وتبرز هذه الطريقة في ست مقامات هي:

1- المقامة البصرية: "أنا رجل من أهل الإسكندرية"[2].

2- المقامة الموصلية: "ومعي الإسكندري أبو الفتح"[3].

3- المقامة المضيرية: "ومعي أبو الفتح الإسكندري رجل الفصاحة"[4].

---

[1]- عبد الله إبراهيم، السردية العربية، ص 207.

[2]- الهمذاني، المقامات، ص 97.

[3]- المصدر نفسه، ص 151.

[4]- المصدر نفسه، ص 159.

4- المقامة الأرمنية: "يكنى أبو الفتح الإسكندري وسرنا في طلب..."[1].

5- المقامة الوصية: "لما جهز أبو الفتح الإسكندري فمضيت إليه"[2].

في هذه المقامات نجد أن نظام الحكاية يأخذ اتجاهين اثنين في الغالب:

**أولاهما**: البطل يلفق حكاية يخدع بها الراوي، وهنا لا يكون التعرف تعرف أشخاص، بل إن (الراوي) يكشف أخيرا أنه وقع ضحية حكاية ضلّلته، وتكون الحكاية الملفقة جزءا من حكاية أشمل هي حكاية لقاء الراوي والبطل، كما في المقامة: الموصلية، المضيرية الأرمنية، الدينارية.

**أخراهما**: قيام البطل بعلم من الراوي بإنجاز فعل يفتقر إلى نسيج الحكاية، كأن يلقي موعظة أو خطبة في موضوع ما، أو يقدم وصية ما، أو يعمد إلى فك ألغاز لغوية ووصف أشياء مرئية، كما في (المقامة البصرية)، و(المقامة الوصلية).

**2. الطريقة الثانية**: ويحصل التعرف فيها بعد أن يفرغ البطل من حكايته، وهي الطريقة الأكثر انتشارا، إذ اعتمدت في اثنتين وثلاثين مقامة من مقامات الهمذاني وهي:

- القريضية، الأزدية، البلخية، السجستانية، الكوفية.
- الأسدية، الأذربيجانية، الجرجانية، الأصفهانية، الفزارية.
- الجاحظية، المكفوفية، البخارية، القزوينية، الساسانية.
- القردية، الحرزية، المارستانية، المجاعية، الوعظية.
- العراقية، الحمدانية، الشيرازية، الحلوانية، النيسابورية.
- العلمية، الملوكية، السارية، الخمرية، المطلبية، الإبليسية، الأسدية.

---

[1]- المصدر نفسه، ص 283.

[2]- المصدر نفسه، ص 311.

والتعرف إذا تم بعد انتهاء حكاية البطل، فإن تشكيل الحكاية – في هذا النوع – يخضع خضوعا تاما لموقف التعرف (التجلي) الذي هو جزء منها، فإن كان التعرف خاتمة للحكاية، تبدأ المكونات الأخرى تظهر بما يجعل (الراوي) "عيسى بن هشام" جاهلا بما يحدث، إذ يتحول إلى وسيلة لوصف مزدوج – ذاتي وموضوعي – لمجموعة الأفعال التي يقوم بها البطل ابتداء من ظهور البطل في المشهد إلى أن يتم التعارف بينهما، ثم فراقهما، وهنا تخضع الأفعال سواء المنسوبة إلى (الراوي) أم إلى (البطل) إلى زمن متتابع يشكلها وفق نسق التعاقب، ويكون المنطق الذي يحكم الحكاية خاضعا لأسباب يحددها (الراوي) ويلتزم بها البطل، ومقيدة في تتابعها في الزمان شيئا فشيئا، وصولا إلى موقف التعرف الذي يشكل ذروة الأفعال المذكورة.

وهذه ترسيمة تبرز لنا مواطن الخروج والتخفي والتعرف البارزة في اثنين وثلاثين مقامة.

ترسيمة للنمط الأول:

**"الخروج- التخفي- التجلي" في اثنين وثلاثين مقامة (32 مقامة).**

| المقامة | الخروج | التخفي | التعرف (ويكون بعد أن يفرغ البطل من الحكاية) |
|---|---|---|---|
| 1. القريضية | طرحتني النوى بمطارحها. حتى إذا وطئت جرجان الأقصى | تلاقينا شاب قد جلس غير بعيد ينصت وكأنه يفهم.. | فقلت الإسكندري والله |
| 2. الأزدية | فخرجت أعتام من أنواعه لابتياعه | أخذت عيناي رجلا قد لف رأسه ببرقع حياء. | فإذا والله شيخنا أبو الفتح الإسكندري |
| 3. البلخية | فهضت بي إلى بلخ تجارة البز | دخل عليّ شاب في زي ملء العين ولحية تشوك الأخدعين | ألست بأبي الفتح الإسكندري |
| 4. السجستانية | حدا بي إلى سجستان أدب فاقتعدت طيته، وامتطيت مطيته | فإذا رجل على فرسه مختنق بنفسه | فإذا هو والله شيخنا أبو الفتح الإسكندري |
| 5. الكوفية | وطئت ظهر المروضة، لأداء المفروضة | قرع علينا الباب، فقلنا من القارع المنتاب | فإذا هو والله شيخنا أبو الفتح الإسكندري |
| 6. الأسدية | انتفقت لي حاجة بحمص فحشدت إليها الحرص، في صحبة أفراد | رأينا رجلا قد قام على رأس ابن دينية | قلت إن هذا الرجل هو الإسكندري |
| 7. الأذربيجانية | فخزني الليل، وسرت بي الخيل... وبلغت أذربيجان | طلع رجل بركوة قد اعتضدها وعصا قد اعتمدها | فإذا والله أبو الفتح |

| | | | |
|---|---|---|---|
| 8. الجرجانية | بينما نحن بجرجان في مجمع لنا نتحدث | وقف علينا رجل ليس بالطويل المتمدد ولا القصير المتردد | فإذا هو والله شيخنا أبو الفتح الإسكندري |
| 9. الأصفهانية | كنت بأصفهان اعتزم المسير إلى الريّ فتحللتها حلول الفيّ | وتقدم الإمام إلى المحراب | نظرت فإذا هو أبو الفتح الإسكندري |
| 10. الفزارية | كنت في بعض بلاد فزارة مرتحلا نجيبة | إذ عن لي راكب تام الآلات | فإذا هو والله شيخنا أبو الفتح |
| 11. الجاحظية | أثارتني ورقة وليمة فأجبت إليها | ومعنا رجل تسافر يده على الخوان وتسفر بين الألوان | من أين مطلع هذا البدر فقال: إسكندرية داري... لو قر فيها قراري |
| 12. المكفوفية | كنت أجتاز في بعض بلاد الأهواز | إلى حرقة كالقرنبي أعمل مكفوف، في شمله صوف | فإذا هو والله شيخنا أبو الفتح الإسكندري |
| 13. البخارية | أحلّني جامع بخاري يوم، وقد انتظمت مع رفقة... | طلع إلينا ذو طمرين قد أرسل صوانا... | فإذا هو والله شيخنا أبو الفتح الإسكندري |
| 14. القزوينية | غزوت الثغر بقزوين سنة خمس وسبعين... حتى وقف بنا المسير | سمعنا صوتا أنكر من صوت الحمير | فإذا والله شيخنا أبو الفتح |
| 15. الساسانية | أحلتني دمشق بعض أسفاري | فيهم زعيم لهم يقول وهم يراسلونه | فإذا زعيمهم أبو الفتح الإسكندري |

| | | | |
|---|---|---|---|
| 16. القردية | بينما أنا بمدينة السلام، قافلا من البلد الحرام | حتى وقفت بمسمع رجل دون مرأى وجهه | فإذا هو والله أبو الفتح الإسكندري |
| 17. الحزرية | ولما ملكنا البحر وجن علينا الليل... | وفينا رجل لا يخضل جفنه ولا تبتل عينه | قال أنا من بلاد الإسكندرية |
| 18. المارستانية | دخلت مارستان البصرة... | فنظرت إلى مجنون تأخذني عينه وتدعني | قلنا ففسر لنا أمرك، واكشف لنا سرك، فقال: أنا إسكندري داري في بلاد الله سارب |
| 19. المجاعية | كنت ببغداد عام مجاعة فملت إلى جماعة | فيهم فتى ذو لثة بلسانه | فمن أي الخرجات أنت؟ فقال أنا من ذوي الإسكندرية |
| 20. الوعظية | بينما أنا بالبصرة أمشي حتى أداني السير إلى فرضة | كثر فيها قوم على قائم يعظهم وهو يقول: ... | من أنت يا شيخ؟ أنا أبو الفتح الإسكندري |
| 21. العراقية | طفت الآفاق حتى بلغت العراق | إذ عنّ لي فتى في أطمار يسأل الناس | فإذا هو أبو الفتح الإسكندري |
| 22. الحمدانية | حضرنا مجلس سيف الدولة ابن حمدان يوما | رأيت بالأمس رجلا يطأ الفصاحة بنعليه | قلت: فمن أين منيت هذا الفضل؟ قال من الثغور الأموية والبلاد الإسكندرية |
| 23. الشيرازية | لما قفلت من اليمن وهممت بالوطن ضم إليّ رفيق رحله | إذ دخل كهل قد غيّر في وجهه الفقر | قلت أنت أبو الفتح الإسكندري؟ فقال أنا ذاك |

| | | | |
|---|---|---|---|
| 24. الحلوانية | لما قفلت من الحج فيمن قفل ونزلت حلوان | فجاءني برجل لطيف البنية، مليح الحلية | وسألت عنه من حضر فقالوا: هذا رجل من بلاد الإسكندرية |
| 25. النيسابورية | كنت بنيسابور يوم جمعة، فحضرت المفروضة | اجتاز بي رجل قد ليس دنية وتحنك سنية | قال أنا رجل أعرف بالإسكندري |
| 26. العلمية | كنت في بعض مطارح الغربة مجتازا | فإذا برجل يقول لآخر | فقلت يا فتى من أين مطلع هذه الشمس، فجعل يقول: إسكندرية داري |
| 27. الملوكية | كنت في منصرفي من اليمن وتوجهي إلى نحو الوطن | عنّ لي في البراح، راكب شاكي السلاح... | أجلت القصة عن أبي الفتح الإسكندري |
| 28. السارية | بينما نحن بسارية عند واليها | دخل عليه فتى به ردع صفار | فقلت: حرسك الله ألست الإسكندري |
| 29. الخمرية | اجتمع إلي في بعض ليالي إخوان الخلوة | قمنا وراء الإمام، قيام البررة الكرام | وسألنا عن إمام تلك القرية فقال: أبو الفتح الإسكندري |
| 30. المطلبية | اجتمعت يوما بجماعة كأنهم زهر الربيع | وفي وسطنا شاب قصير من بين الرجال، محفوف السبال | كأنني عارف بنفسك، فقال: نعم ضعنا طريق وأنت لي رفيق |
| 31. الإبليسية | أضللت إبلا لي فخرجت في طلبها | وإذا شيخ جالس، فراعني منه ما يروع الوحيد من مثله | إذ بأبي الفتح تلقاني بالسلام |

| | | | |
|---|---|---|---|
| 32. الأسودية | فهمت على وجهي هاربا، حتى أتيت البادية | فتى يلعب بالتراب مع الأتراب... فإذا سبعة نفر فيه | فما أخذت عينيا إلا أبا الفتح الإسكندري |

هذه الترسيمة تؤكد التواصل بين المقامات الهمذانية على مستوى البنية، وتبطل ما كان يزعمه الكثير من أن المقامات عبارة عن نصوص منفصلة لا ترابط بينها.

**النمط الثاني:**

وهي المقامات التي لم تخضع للنمطية المطردة (خروج- تخفي- تجلي) إنما جاءت بصيغ أخرى، مغايرة في إطارها العام لما جاء في النمط الأول.

هذه المقامات هي:

1- الغيلانية: يعرض فيها قصة رواها "عصمة بن بدر الفزاري" عن غيلان بن عقبة "ذو الرمة".

2- الأهوازية: وهي موعظة تلقاها "عيسى بن هشام" مع رفاقه من رجل على كتفيه جنازة.

3- البغدادية: قصة "عيسى بن هشام" مع "السوادي"، وكان "عيسى بن هشام" (الراوي) و(البطل) معا.

4- الرصافية: دخول عيسى بن هشام إلى مسجد حيث يجتمع نفر من الناس يذكرون النوادر والطرائف، وبالمقامة حذف لقصة أبي الفتح الإسكندري، حذفها "محمد عبده" لعدم الفائدة فيها[1].

5- المغزلية: قصة الفتيان اللذان احتكما إلى عيسى بن هشام.

6- النهيدية: عيسى بن هشام ورفاقه يوهمهم رجل بالطعام ولا يطعمهم.

---

[1]- المصدر السابق، ص 329.

7- الناجمية: قصة الشيخ الناجم.

8- الخلفية: قصة الشاب الذي صحب "عيسى بن هشام" في طريقه إلى البصرة.

9- الصيمرية: قصة محمد بن إسحاق المعروف بأبي العنبس.

10- الشعرية: قصة الفتى الذي يعلم ضروب الشعر وغريبه.

11- الصفرية: عيسى بن هشام يزوج جارية له إلى رجل من تجار الصفر.

12- التميمية: الراوي يقص قصة لأبي الندى التميمي.

13- البشرية: قصة بشر بن عوانة العبدي.

هذه المقامات بطلها "عيسى بن هشام"، أو نجده فيها (راويا) يقص علينا قصصا لشخصيات أخرى، فجاءت هذه المقامات على شكلين.

أ. **الشكل الأول:** وتبرز فيه حلقتان من حلقات السياق السردي هما الخروج والتخفي، كما هو الحال في المقامة: الأهوازية، الرصافية، البغدادية، النهيدية، الشعرية والمغزلية.

ب. **الشكل الثاني:** ويمثل المقامات التي قص فيها قصصا لشخصيات أخرى، وهي الفيلانية، الناجمية، الخلفية، الصيمرية، التميمية، البشرية والصفرية.

فمن خلال هذه المقاربة الأفقية تجلت لنا الخيوط السردية وأسرار اللعبة عند الهمذاني في نسج حكايات مقاماته (الاثنتان والخمسون مقامة) موزعة على هذا الشكل:

**32 مقامة:** يحصل التعرف فيها بعد أن يفرغ البطل من حكايته.

**06 مقامات:** يحصل التعرف فيها أولا، قبل تشكيل الحكاية.

**13 مقامة:** لم تخضع للنمط المعروف: خروج- تخفي- تجلي، إنما جاءت بصيغ أخرى.

المقامة الشامية: حذفها "محمد عبده" في طبعته لمخالفتها الآداب العامة، كما يرى هو، والحذف أصاب كذلك أجزاء من المقامة الرصافية، والدينارية، أي أخرجهما من دائرة النص إلى دائرة اللانص.

يعلل فعله هذا تعليلا غير مقنع فيقول: "إن في هذا المؤلف من مقامات البديع رحمه الله افتنانا في أنواع من الكلام كثيرة ربما كان منها ما يستحي الأديب من قراءته. ويخجل مثلي من شرح عبارته. ولا يجمل بالسذج أن يستشعروا معناه. أو تنساق أذهانهم إلى مغزاه. وأعوذ بالله أن أرمي صاحب المقامات بلائمة تنقص من قدره. أو أعيبه بما يحط من أمره. ولكن لكل زمان مقال. ولكل خيال مجال. وهذا عذرنا في ترك المقامة الشامية. وإغفال بعض جمل المقامة الرصافية..."[1].

ولا يقتصر هذا التشويه أو التناسي لجانب من ثقافتنا العربية القديمة على المقامات فحسب، بل يتعداه إلى فنون أخرى وأعلام أخر بلغوا في الكتابة والإبداع ما بلغوا شأن "ابن الحجاج" الذي لا يعرفه إلا أخص الخواص من المثقفين العرب. رغم مبلغه في الشعر. يقال: "إنه في الشعر في درجة امرئ القيس، وأنه لم يكن فيهما مثلهما لأن كل واحد منهما مخترع طريقة"[2] ويصفه الثعالبي بقوله: "هو وإن كان في أكثر شعره، لا يستتر من العقل بسخف، ولا يبني جل قوله إلا على سخف، فإنه من سحرة

---

[1]- محمد عبده، مقامات الهمذاني، سلسلة الأنيس، 1988، ص 03.

[2]- ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء الزمان، المجلد الثاني، دار صادر، بيروت، 1968، ص 169.

الشعر وعجائب العصر"[1]. مع هذا القدر كله لا نجده مقررا على الطلبة في معظم الجامعات العربية، ولم ينل حقه من الدراسة والبحث بعد.

**نتائج الدراسة:**

وختاما أقول:

1- إن من مقتضيات القراءة الواعية للنصوص التراثية تجنب قراءة المعنى قبل قراءة اللفظ، أي التحرر من الأحكام المسبقة. والعمل على استخلاص المعنى من ذات النص كما يجب التخلص من النظرات الاستعلائية وسياسة الإقصاء في التعامل مع النص القديم . فقد آن الأوان لإخراج الكثير من الأعمال من دائرة اللانص إلى دائرة النص شأن أشعار ابن الحجاج وابن دلف الخزرجي والمقامة الشامية للهمذاني.

2- إن الترابط بين مقامات الهمذاني وإن لم يتأكد على مستوى المضامين، فهو قائم على البنية السردية، فمعظم المقامات --كما رأينا- تمر عبر هذه القناة:

الخروج----------التخفي----------التجلي

كما يؤطرها سرديا راو مجهول . وآخر معلوم يروي لنا مغامرات بطل أفاق أديب شحاذ هو أبو الفتح الاسكندري.

---

[1]- الثعالبي، يتيمة الدهر، الجزء الثالث، مكتبة الصاري، مصر، الطبعة الأولى، 1924، ص 25.